إضاءة

ما نعنيه بالعودة من المستقبل هو أن بعض الأعمال الثقافية تتوفر على بصائر تخترق غيوم الزمن ولا تكون رهينة العابر والمؤقت. لأن ثقافة من هذا النوع، لم تتوجه في الأساس إلا إلى الكلي والشامل، إلى الإنسانية في مسيرتها الطويلة، ولا يمكن القول إنها تأخرت في الوصول

محمد الأسعد

ثقافة تتلذذ بالعابر والمؤقت وتعيش بلا ذاكرة

العائدون من المستقبل

بعض الكتّاب المَنسيين، حين تفاجئنا مقالاتُ أحدهم أو كتبُه، نأسف لأننا لم نعرفْهُ في زمنه، ولم ننشأ تحت ظلاله. وقد نقول، كما قال لي صديقٌ منذ وقت قريب وهو يناقشني، هذا الكاتب الذي نكتشف أنه قامة فكرية عالية طُمست في زمنها ولم يكن له تأثير يُذكر، يصبح حين يستعاد الآن خارج الزمن، إنه عائدٌ من زمن آخر، ولذا سيكون تأثيره غير ذي قيمة. إنه بتعبير آخر، كمن تأخر مجيئه كثيراً، بحيث يدخل، هذا إن دخل، غريباً عن عصرنا، وغريبة كتاباته.

ويضيف هذا الصديق: «لا أشك أن تأثيره كان سيكون هائلاً لو برز في زمنه، وعرفه الوسط الثقافي، أما وقد تضافرت عوامل عديدة على إقائه في العتمة، مثل أن يكون اختار العزلة بقرار شخصي، أو عزلتْهُ رؤيته التي تخطت الرائج في عصره، أو تطلع إلى إنجاز آثار تتخطى زمنه فرهن قيمته بين أيدي من يكتشفه من الأجيال المقبلة، أو تعرّض لحرب إنكار وتنكير ومحو من قبل هذه الجماعة أو تلك لأسباب سياسية، فلن نملك، نحن الذين اكتشفناه متأخرين، نحن الجيل اللاحق، الثاني أو الثالث بعد عصره، إلا الاعتراف بأن قيمته وقيمة أثاره تظل رهينة زمنه وليس أي زمن آخر. فإن وصلنا بمصادفة ما، على يد شغوف بالبحث والتنقيب، أو باحث يدير ظهره لأساطير عصر مضى ويبحث في ما أهمله أو ما لم يفهمه، فلن تستفيد منه ثقافتنا؛ لقد نشأنا وتكوّنا أو «تبرمجنا»، ولم يعد ممكناً، لا إعادة برمجتنا ولا برمجة ثقافتنا».

ولكن.. حين اكتشف في هذا الكاتب المنسي في زمنه قيمة ثقافية كبرى، لا أذهب مذهب هذا الصديق، فأنا من الذين يعتقدون أن هناك أمثلة كثيرة تشهد على أن كتّاباً تجاهلهم عصرهم، وغابوا في الضباب، لهذا السبب أو ذاك، عادوا إلينا من المستقبل. وبدا وكأنهم يحيون مُجدداً حياة ربما تكون أكثر خصباً من حياة الأحياء الذين يعيشون بيننا، وبدا أن أعمالهم تعيد تشكيلنا؛ تشكيل رؤيتنا إلى أنفسنا وإلى العالم من حولنا.

العودةُ من المستقبل نموذجٌ تكرّر في أكثر من ثقافة. عاد اليوناني كافافيس، شاعر الإسكندرية، مثلاً، بعد نصف قرن من غيابه، بل وعادت عصورُ ثقافية كاملة بعد أن طُمست ونُسيت، ومارست تأثيرها مجدداً، وفعلت فعلها ولا تزال حتى اليوم، مثلما عاد إلى الغرب العصران اليوناني والروماني في وقت واحد، وتخلقت في ظلالهما حداثة العصر الراهن. وتحضرني شخصية من الشخصيات البارزة التي عادت بعد نسيان، تلك هي شخصية الشاعر الألماني هولدرلن. لقد احتاج الأمر زمناً طويلاً ليكتب عنه ستيفان تسفايغ هذه السطور المؤثرة: «إنه يبدو غريباً جداً وهو معلّق عبر الزمان (منتصف القرن التاسع عشر)، وقد مات صدى اسمه في الآذان، ونُسيت روعته إلى حد بعيد، وحين يرقد ذاتُ يوم ويموت، لا يثير هذا الأفولُ الهادئ في العالم الألماني صوتاً أقوى من صوتِ ورقة خريفية مرتعشة. ويحمله العمّالُ في رداءٍ حائل متآكل إلى القبر، وتُحفظ، على سبيل التسلية، الآلاف من أوراقه المكتوبة. ثم يظلّ يعلوها الغبارُ طوال عشرات السنين في دور الكتب، وتظلّ رسالته طوال جيل كامل لا يقرأها الناس ولا يتلقونها. وتختفي صورةُ هولدرلن الفكرية في ركام النسيان أعواماً وعقوداً، مثلما يختفي تمثال إغريقي في باطن الأرض، ولكن عندما يُنقبُ عن الفلذة المبتورة أخيراً جهدٌ ينطوي على الحبّ ويخرجها من الظلام، يشعر جيلٌ جديد، وقد تولاه العجبُ، بصفاء صورة الفتى المرمرية الذي لا سبيل إلى تعكيره».

هذا هو ما أسميه العودة من المستقبل. أعني أن الأعمال الثقافية، وخاصة الأعمال التي تتوفر على بصائر تخترق غيوم الزمن ولا تكون رهينة العابر والمؤقت، تحمل معها قيمتها بذاتها، ولا ينتقص من قيمتها أن تكون أجيالٌ حُرمت منها، أو أنها لم تستطع أن تساهم في «برمجة» ثقافة هذا العصر أو ذاك، لأن ثقافة من هذا النوع، لم تتوجه في الأساس إلا إلى الكلّي والشامل، إلى الإنسانية في مسيرتها الطويلة. ولا يمكنني القول إنها تأخرت في الوصول. لا أشك بالطبع في أن مساهمة هذه الأعمال في برمجة ثقافة عصرها بالذات تعتبر امتيازاً إضافياً، إذ ستكون قد ساهمت في التقدم الإنساني إلى حد ما، ولكن ماذا لو تغلبت عوامل القصور والجهل والتجاهل، وحجبت حضورها لفترة زمنية قصيرة أو طويلة؟

حين تصل هذه المساهمة في النهاية، وتؤدي رسالتها، لا تكون آتية من زمن آخر، أو لا تكون خارج زمنها، لأن ليس لها زمن محدّد، ولأن لا أحد يستطيع تحديد زمن للثقافة، لأنها تنوير، ومثلما لا يستطيع أحد الزعم أن النور تنتهي صلاحيته في هذا المكان المظلم أو ذاك، لا يستطيع أن يحدد للثقافة زمناً دون آخر.

عند هذه النقطة يمكن أن يعترض أحدهم ويبدو اعتراضه وجيهاً للوهلة الأولى؛ وأتخيّله يقول: ولكن أمثلة هذه العودة من المستقبل التي تحضرك، كلها أمثلة من ثقافة أخرى، أمثلة من الثقافة الغربية؛ ونحن نعرف أنها، عكس الثقافة العربية الراهنة، تمتلك ذاكرة حية، هي ذاكرة تعيد النظر في عصورها الماضية، وتحتفظ بأحيائها وأمواتها، ولا تسمح لعوامل القصور والإهمال بالبقاء طويلاً. إنها ثقافة تجيد التقاط مفكريها وشعرائها وروائييها المنسيين، هذا إن تم نسيانهم، وتجيد العودة إلى تراثها القريب والبعيد ولا تسمح لأجيالها بأن تكون أجيالاً مثقوبة الذاكرة.

فأقول: نعم هي كذلك، بل هي تحتضن حتى من خرج عليها، وتعود به إلى أجيال لم تسمع به ولم تقرأ له، وتدخله، وكأنها تعيد ما أطلقتْ عليه «برمجة» الثقافة قرناً بعد آخر. ألا نلاحظ هذه الحيوية، في الكيفية التي تعيد فيها الثقافات تنسيق وهندسة كياناتها الثقافية وسلالم قيمها ورؤيتها للعالم بين عصر وآخر في ضوء ما تكتشفه في ماضيها وما تجربه في حاضرها؟

هذه هي الثقافات الحية التي يعود فيها الفلاسفة والشعراءُ والمفكرون والفنانون من المستقبل، أي يعودون إلى الحياة مجدّداً وإلى المساهمة في ثقافتهم، فيغنون ويغتنون، حين يُنتزعون من غياهب النسيان ولو بعد قرون وقرون.

(شاعر وروائي وناقد من فلسطين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

تنصيب للفنان الالماني أوتمار هورك يستعيد فيه الشاعر هولدرلن (من موقع الفنان)

دليلُ حياة

ظاهرة الاحتفاء بالعائدين من المستقبل - من كتّاب وشعراء وفنانين - دليلُ حياة وليست دليل موت، اي ان الثقافة المعنية تمتلك الرغبة في استعادة ما افقده إياها تعصّبُ عصرٍ ما، او تغلّب مصالح عُصبة على الوعي الجماعي، او انحطاط قيم الذّوق بالخاصّة وحسن التقدير. كلها مظاهر تشير الى اشكاليات في ثقافة ما نسيت ان تتحسّس ذاكرتها، وليس مشكلة مبدعين غيبتهم ظروف معيّنة عن ثقافة مجتمعا تهم وعن التأثير فيها.

إطلالة

حين ارتدّت مكاسب العلم على البشرية

هل كان عصر تنوير جديداً؟

كيف يمكن للعلم أن يساعد في السيطرة على الطبيعة؟ توالت الإجابات المتفائلة في مطلع القرن العشرين، غير أن النتائج كانت في معظمها مُخيّبة

فوّاز حداد

منذ بداياته، قدّم القرن العشرون بفتوحاته العلمية إمكانات هائلة لتحسين شروط الحياة، حتى أن بعض المفكرين، اعتبروه عصر تنوير جديد، شكّل منعطفاً حاسماً أسهمت فيه العلوم والتقنيات والفلسفة بعملية تجديد كاملة للرؤية السائدة، لا تقلّ عن بداية جديدة للبشرية.

كان السؤال المطروح: كيف يمكن للعلم أن يساعد في السيطرة على الطبيعة؟ توالت الإجابات في مطلع القرن، من خلال ما استجد من اكتشافات علمية، إضافة إلى عمليات تجديد عديدة أدت الى تغير عميق في مفهوم الزمان والمكان والمادة. تحديداً في عام 1900 أرسى عالم الفيزياء ماكس بلانك أسس الفيزياء الحديثة، وعرض أينشتاين عام 1905 «النظرية النسبية» ونشرها عام 1915 ما أحدث ثورة في العلم. وأعيد اكتشاف «قوانين الوراثة» لغريغور مندل والمعروفة باسمه، كما نشر سيغموند فرويد كتابه المؤسس لـ«التحليل النفسي» وأصبح أحد أهم المراجع في مجال علم النفس. ولا يستثنى الفن في هذا الحراك، فقد رسم بيكاسو أوّل لوحاته التكعيبية عام 1907 وأشهرها المعروفة باسم «فتيات أفينيون» ونسف أسس الفن، حسب بعض النقاد.

انعكست هذه وغيرها، خلال بضع سنوات وعقود على العالم بقفزات على صعيد التقنيات والعمارة وعلوم اللغة والحياة والإعلام والاتصالات وشتى الميادين الأخرى، ولم يكن الفن متفرجاً سلبيًا، فالسينما لم تكن لترى النور لولا التقدم في إطار علوم البصريات والتصوير، كما استفاد فن العمارة مما حققته التكنولوجيا الحديثة في الصناعات الحديدية والزجاجية.

كانت ثورة على صعيد أنماط الفكر والعمل، بشّرت وبشكل عملي، مبكر ولافت، بتنفيذ أول عملية طيران قام بها الأخوان رايت عام 1903، كذلك على صعيد قياس الزمن، ما شكّل أحد المعايير الأساسية في التفكير العلمي. إضافة إلى التقدم الحثيث في تطوير وسائل النقل في السيارات والقطارات.

أبرز مفاعيلها التي لم يجر الانتباه إليها في حينها، أنه كان لها نصيب في تطوير التطبيقات الصناعية والعسكرية. لم يكن العمل عليها متاحًا إلا للأكاديميين، ويجري في الخفاء، لأسباب تتعلّق بالأمن القومي، ستظهر نتائجه خلال الحرب العالمية الأولى.

ففي الحرب شهد العالم بداية استخدام الطائرات الحربية على نطاق واسع، تبدت أهميتها في تحديد مسار العمليات الحربية. كذلك تطوير العربات العسكرية والمدرعات ومن ثم الدبابات؛ ومن بنادق الصيد والمدسسات البدائية والمبارزات ستولد البنادق والمدافع.. وبشكل موجز، رُفع أداء وسائل القتل والخراب. أصبحت الحروب مدمرة وعلى نطاق واسع، بات لها تأثير مرعب، نجم عما تولد عنها من أهوال، كانت من قبل تقع في المستعمرات، بينما أصبحت ساحاتها الأراضي الأوروبية، تجري بين شعوب «متحضرة» و«عقلانية»، لم يعودوا مجرّد سامعين لانتصاراتهم على الشعوب «السوداء الوثنية»، باتوا يكتوون بنيرانها.

لم تفلت قوانين الوراثة من التلاعب بها، ففي ألمانيا النازية دخل قانون القضاء على السلالات المريضة وراثيًا حيز التنفيذ عام 1934. أدى هذا القانون إلى السماح بقانون التعقيم، منح مواطن بالقوة، بحجة تحسين النسل، بإنشاء مجتمع متجانس قوميًا، وذلك بالتخلص من أي شخص يعاني من اضطرابات وراثية، يعتبر أقل قيمة من الناحية العرقية، أو الأجناس المعوقة والمشوهة.

لم يشارف القرن على الانتهاء، إلا وباتت إمكانية الرقابة الدقيقة على الأرض بواسطة الأقمار الصناعية عملية مشروعة، ما يزيد من آليات السيطرة على البشر، فإذا كانت تساعد على التجسس، فسوف تتعدى مع الوقت على خصوصية الأفراد.

هذه المكاسب العلمية الكبيرة ارتدت على البشرية بخسارات كبيرة، وإذا علت الأصوات تدين العقل والعلم، فلأن تكاليف التقدم كانت باهظة على حساب الإنسان والحريات. وإدراك أن غطرسة العقل هي غطرسة السلطات، وعمى العلم لانفصاله عن القيم الإنسانية، أدى إلى المطالبة بالارتداد إلى حياة بسيطة في حمى الطبيعة البريئة، ما أوحى بعودة جان جاك روسو إلى الحياة، باستلهام «عقد اجتماعي» جديد يجمع بين العلم والتكنولوجيا والمجتمع والأخلاق. ويمكن القول إن التنوير جاء مصحوبًا بالظلام.

(روائي من سورية)

> تكاليف التقدم كانت باهظة على حساب الإنسان والحريات

«مشهد قياموي». لودفيغ ميدنر، 1913

متابعة

«ماربويتكا» في مربلة... الشعراء في مدينة اليخوت

الحقائق التي يبنيها الخيال

بين مكتبة المدينة ومسرحها، يتنزه الشعراء فيما يستمعون إلى أطياف أسلافهم، يرقص التاريخ من حولهم، تتعالى أصوات جديدة وأساليب واعدة

مربلة (إسبانيا) ـ **جعفر العلوني**

لعل أبرز ما ميّز الدورة الرابعة من مهرجان «ماربويتكا MarPoética» الشعري، الذي يعقد كل عام في مدينة مربلة الأندلسية المتوسطية (ماربيّا بالإسبانية)، في الأيام العشرة الأخيرة من شهر تموز/ يوليو، هو مشاركة شعراء الجيل الجديد من الشباب الإسبان إلى جانب شعراء النخب الأول في تشارك الانتخاب على ضفاف المتوسط، احتفاءً بالشعر.

حوتْ كبير معلّق في السقف يسهر راقصاً على الشعر، فيما يستمع الحضور إلى كلمات الشاعر أنطونيو لوكاس، مدير المهرجان، وهو يعلن عن افتتاحه في مسرح المدينة، مرحّباً بالروائي والشاعر مانويل ريفاس. يعترف صاحب رواية «الأصوات المرتعشة»، في حضرة الشعر والشعراء، أنّه «مهرّبٌ للنوع»، مدركاً هوية المهرجان الشعرية، مع ذلك يقول: «الشعر يلزمنا جميعاً»، وينتهي قارئاً نصوصاً نثرية مكثفة استقبلها محبو الشعر بكل شغف وتصفيق.

أطياف شعراء تركب موج المتوسط: فيدريكو غارسيا لوركا، رافائيل البيرتي، ميغيل هرنانديز، وخوان رامون خمينيز؛ كلهم يحضرون معنا في صوت المغنية كارمن لينارياس التي راحت تنسج علاقات تاريخية بين الفلامنكو والشعر.

أمام أصوات الشعراء وأطيافهم، صخب الموج وزبده، أثقال التاريخ، وموسيقى البارات، يفضل الشاعر لويس مونيوز أن يكون هامشياً، يحبّ أن يصمت، ألا يكتب الشعر إلا في تلك اللحظات الحميمية التي تغزو القلب. هنا يطرح بابلو بخالانس سؤال الشعر: هل الشعر حقيقة أم خيال؟

> بعيدةٌ عن صورتها النمطية كمدينة اليخوت الخاصة والصحافة الوردية

الشعر بحثٌ دائم عن الحقيقة، ولكن لا يمكن الوصول إلى الحقيقة إلا من خلال الخيال. يجيب خوان بونيا، رافضاً تشييد الحدود بين الواقع والخيال، المرئي واللا مرئي:

«تخيّل، أيها الشاعر، ولا تنسى أن تكتب الواقع». بهذه الكلمات ينتهي حوار بابلو وخوان، ليبدأ الشاعر خافيير فيسيدو، منسق سلسلة «كلمات في البحر»، استضافته لقراءات شعرية لشعراء تحت سن الثلاثين. ماريا إيليينا وخوان غابيغو بينوت، صوتان شعريان متناغمان يحولان الأسماء إلى دماء، الأفعال إلى لعاب، والصفات إلى أشواك بطعم العلقم.

أنا أيوخينيا بينيغاس، شاعرة المدينة، تعشق الأشكال الكلاسيكية، الرموز، والاقتباسات. لا داعي لأن تركب موج المتوسط، أو أي يخت بأذخ، موج قصائد أنا سيأخذك في جولة تعرفك على المدينة وعلى أشباحها. جوردي دوسي، أوليفيو غارسيا فالديس، برناردو أتكساغا، خورخي فيالوبوس، خافيير فيلا، وماريو أوبريرو جميعها أصوات شعرية شابة تؤكد حقيقة مفادها أن لا عمر للشعر، وأنه القرصان الوحيد الذي يحمل سيف المخيلة ويحرس البحر.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من قراءات المهرجان

فعاليات

جياكوميتي ومصر القديمة، عنوان معرض يقام حتى اكتوبر/ تشرين الاول المقبل في **متحف اللوفر** في باريس. المعرض الذي اشرف عليه القيّم الفني **تيري باتي**، يستعير اعمالاً نحتية للفنان السويسري من «مؤسسة جياكوميكي» ويقارنها بمنحوتات مصرية موجودة ضمن مجموعة «متحف اللوفر».

تقام غداً، عن بُعد، ندوة بعنوان **الصناعات التقليدية زمن الكورونا... بين صمود الحرفيين وضرورة إنعاش للقطاع**، تنظّمها **الجامعة الوطنية للصناعات التقليدية** و**منظمة الأعراف** في تونس، إضافة إلى «المعهد العربي لرؤساء المؤسسات». ويتحدّث المشاركون فيها، من مهنيّين وباحثين وإعلاميين، عن واقع الصناعات التقليدية من زوايا اجتماعية وجمالية وثقافية.

ينطلق بعد غد، الخميس، **معرض كتاب الدقي المخفّض** ويتواصل حتى العاشر من اغسطس/ آب الجاري، بمشاركة 43 دار نشر، منها: **الشروق** و**الكرمة**» و**الدار المصرية اللبنانية** و**دار نهضة مصر**. يتضمّن المعرض اربعة اقسام، هي: الاصدارات الحديثة، والكتب المستعملة، وكتب الاطفال، وقسم المنتجات والاكسسوارات.

تحتضن مدينة البندقية الإيطالية حتى يوم الجمعة المقبل، مؤتمراً بعنوان **ان نغذّي الممثّل داخلنا**، تنظيم **استديو امبروفيستا**، يشارك فيه ممثلون ومخرجون ونقّاد من إيطاليا وفرنسا. تفضي التظاهرة الى انتاج ثلاثة اعمال مسرحية قصيرة تعتمد على مُخرجات المحاضرات والشهادات المقدّمة.